رَمَضَانُ شَهْرُ الصَّبْرِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

نَتَكَلَّمُ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ عَنْ أَجْمَلِ الصِّفَاتِ، وَأَنْبَلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَسَاسِ النَّجَاحِ وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ؛ **إِنَّهُ الصَّبْرُ** الَّذِي هُوَ أَسَاسٌ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَالتَّنَزُّهُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الصَّبْرَ فِي الْقُرْآنِ فِي تِسْعِينَ مَوْضِعًا).

وَقَدْ ذُكِرَ الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ أَنْوَاعٍ، ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ (عُدَّةُ الصَّابِرِينَ) وَنَحْنُ نَذْكُرُ بَعْضَهَا:

- أَمَرَ اللهُ بِالصَّبْرِ، فَقَالَ: { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ} [النحل: ١٢٧]، وَقَالَ: { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الطور: ٤٨].

- وَنَهَى عَمَّا يَضَادُّهُ، فَقَالَ: {وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} [الأحقاف: ٣٥].

- وَعَلَّقَ الْفَلَاحَ بِهِ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

- وَضَاعَفَ أَجْرَ الصَّابِرِينَ عَلَى غَيْرِهِ، فَقَالَ: {أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

- وَلَا تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

- وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «... وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وَقَوْلُهُ: «أَوْسَعُ»: أَيْ: أَشْرَحُ لِلصَّدْرِ.

- وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

- وَعَنْ صُهَيْبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَه كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

- قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا الصَّبْرَ» [الدر المنثور ١/١٦٣].

- وَقَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو أَيْ: لَا تَتَعَثَّرُ، وَالْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُو؛ أَيْ: لَا يَنْقَطِعُ» [عدة الصابرين لابن القيم].

وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ: الصَّبْرُ هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ، وَحَبْسُهَا عَلَى فَرَائِضِهِ، وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ وَالشِّكَايَةِ لِأَقْدَارِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ لِلصَّبْرِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللّٰهِ، وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللّٰهِ الْمُؤْلِمَةِ.

وَتَجْتَمِعُ الثَّلَاثَةُ فِي الصَّوْمِ!

وَلَا شَكَّ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةٌ وَصَرْحٌ شَامِخٌ يُرَبِّي النُّفُوسَ وَيُعَوِّدُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى الصَّبْرِ؛ وَلِذَا وَصَفَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَهْرَ رَمَضَانَ بِشَهْرِ الصَّبْرِ فِي أَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ» [رواه النسائي والحديث صحيح]، وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-: «شَهْرُ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ» وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بما يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» [صححه الألباني في صحيح الجامع].

قَوْلُهُ: يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؛ أَيْ: يُزِيلُ مَا بِهِ مِنَ الْغِشِّ وَالْحِقْدِ، أَوْ غَيْظَهُ أَوْ نِفَاقَهُ، أَوْ أَشَدَّ الْغَضَبِ.

فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَصَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَهْرَ رَمَضَانَ بِأَنَّهُ شَهْرُ الصَّبْرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ رَمَضَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ أَنْوَاعُ الصَّبْرِ كُلُّهَا: الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤْلِمَةِ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: «وَأَفْضَلُ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ: الصِّيَامُ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ الصَّبْرَ عَلَى الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ: لِأَنَّهُ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَصَبْرٌ عَنْ مَعَاصِي اللهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَتْرُكُ شَهَوَاتِهِ للهِ وَنَفْسُهُ قَدْ تُنَازِعُهُ إِلَيْهَا؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: «كُلُّ

عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: إلا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي» وَفِيهِ أَيْضًا صَبْرٌ عَلَى الْأَقْدَارِ الْمُؤْلِمَةِ بِمَا قَدْ يَحْصُلُ لِلصَّائِمِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ» (جامع العلوم والحكم: ٦٤٩/٢).

فَرَمَضَانُ فِيهِ: الصِّيَامُ، وَفِيهِ الْقِيَامُ، وَفِيهِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْجُودُ والْكَرَمُ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ لِيَقُومَ بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَفْضَلِهَا.

وَفِيهِ: كَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَاللَّغْوِ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ وَالصَّخَبِ وَالْجِدَالِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَنْعُ بَقِيَّةِ الْجَوَارِحِ عَنِ اقْتِرَافِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي، وَهَذَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ، وَالْبُعْدُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْعَبْدُ حِفْظَ نَفْسِهِ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا.

وَرَمَضَانُ فِيهِ: تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَنَفْسُهُ تَتُوقُ لِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ حَبْسُ النَّفْسِ عَمَّا أَبَاحَهُ اللهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ: كَالْجِمَاعِ وَمُقَدِّمَاتِهِ، وَهَذَا لَا تَسْتَطِيعُهُ النَّفْسُ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

وَلِهَذَا فَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي يُنْعِمُهَا اللهُ عَلَى الْعَبْدِ بَعْدَ نِعْمَةِ التَّوْحِيدِ هُوَ إِدْرَاكُ شَهْرِ الصَّبْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، وَالَّذِي قَدْ أَذِنَ عَلَى الرَّحِيلِ, وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ مِنْ تَاجِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ, بَقِيَّةٌ مِنْ عَشْرِهِ الأَوَاخِرِ، وَالَّتِي كَانَتْ جُلَّ اهْتِمَامِ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ , وَسَلَفِهِ الصَّالِحِينَ.

فَاجْتَهِدُوا فِيمَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، وسَلُوا رَبَّكُمُ الْقَبُولَ.

اللَّهُمَّ اشْمَلْنَا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ, اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ, اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.